الجمهورية اليمنية
وزارة الأوقاف والإرشاد
مكتب الأوقاف والإرشاد / المهرة
مركز إعداد الأئمة والخطباء

السَّيْرُ إلى الرَّب مِن خلالِ القَلْب

د/ عبدالله إسماعيل عبدالله هادي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين، صلى الله عليه وعلى آله من الإنس والجن أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[البقرة: ٢٢٥]. وقال النبي -ﷺ-: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ» [م]. فالقلب محل نظر الرب من بين الأعضاء، وهو محل الفقه والعقل والإيمان والكفر والنفاق...، وإن أعماله أهم أعمال البدن على الإطلاق، ولا يعتبر ولا يقبل أي عمل من أعمال بقية الجوارح إلا بأصله من أعمال القلوب؛ وتحقيقها أشق وأصعب من أعمال الجوارح؛ فهي أعظم أجرًا، وأبقى أثرًا، وهي أساس الثواب والعقاب، والنجاة والفلاح، وبما كسب يكون الحساب، في يومِ تُبْلى السرائر، ويُحصَّلُ ما في الصدور.

وإن أعظم كتاب فيه طب القلوب هو القرآن الكريم، فقد ذَكَرَ القلوب كثيرًا؛ منها السليمة ومنها السقيمة، وأشار إلى مرضها أكثر من أمراض البدن، فدل على أن أمراضها أخطر، والناس يهتمون بصحة الأبدان، ويبنون لها الجامعات والأقسام والتخصصات والمستشفيات ولا يهتمون بأمراض

القلوب المعنوية التي يُبنى عليها سعادة الدنيا والآخرة؛ وقد أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل لعلاج أمراض القلوب، وشفاء ما في الصدور.

وقد عرضنا في هذه الأبيات وشرحها أنواعَ القلوب؛ وقد بلغت (٤٠) نوعًا، فالسليمة (١٥)، والسقيمة (٢٥)، وذكرنا أهم العبادات العملية التي يسير بها المسلم إلى الله من خلال قلبه فبلغت «٥١» عملًا قلبيًا؛ وهناك عبادات تركية للقلب على السائر أن يتركها؛ فهي بمثابة الأضداد لهذه العبادات العملية؛ وقد ذيلنا كل عمل قلبي بأهم أضداده على سبيل الذكر غير المفصل، والحليم تكفيه الإشارة؛ وهذه الأضداد هي عوائق للقلب في سيره إلى ربه، ولا بد من تركها وإلا كان القلب أسيرًا، والأسير لا يسير.

سميتُ هذه الأبيات بـ «السير إلى الرب من خلال القلب» ثم شرحتها شرحًا يسيرًا سهلًا؛ لتكون مقررًا لطلاب العلم المبتدئين في مركز إعداد الأئمة والخطباء؛ ولكي تكون مناسبة للتدريس في المساجد للعامة بعد ذلك إن شاء الله تعالى، فلا صلاح للأمة إلا بصلاح الأفراد، ولا صلاح للأفراد إلا بصلاح القلوب، ولا تصلح القلوب إلا بالسير على الوحي، ولا يسار على الوحي إلا بفهم سليم من عقل سليم في قلب سليم.

فالقلب هو النواة الأولى للإصلاح الشامل، فإذا صلحت القلوب صلحت تصرفات الأبدان، وإذا صلحت تصرفات الأبدان صلح الإنسان، وإذا صلح

الإنسان عَمَر الأرض كما يريد الرحمن، وكان أبعد ما يكون عن البغي والفساد والطغيان، والكفر والفسوق والعصيان.

خرَّجتُ الأحاديث بالترميز، فالبخاري [خ] ومسلم [م] والمتفق عليه [ق] وسنن أبي داود [د] وسنن الترمذي [ت] وسنن النسائي [ن] وسنن ابن ماجه [جه] ومسند أحمد [حم] ومصنف ابن أبي شيبة [شيبة] وصحيح ابن حبان [حب] ومستدرك الحاكم [ك] وسنن البيهقي [هق].

واللهَ أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، موافقًا لمرضاته، نافعًا لعباده، إنه سميع قريب.

السير إلى الرب من خلال القلب

١- الْقَلْبُ نَوْعَانِ سَلِيمٌ وَسَقِيمْ أُوْلَاهُمَا الْمُنِيبُ وَالْقَلْبُ الرَّحِيمْ

٢- الْخَاشِعُ الْمُسَكَّنُ الْمُزَيَّنُ وَالْمُطْمَئِنُّ وَالتَّقِيُّ اللَّيِّنُ

٣- وَالْوَجِلُ الْمَهْدِيُّ وَالْمُنَبَّتُ حَيٌّ وَطَاهِرٌ أَلِيفٌ مُخْبِتُ

٤- ثَانِيْهِمَا الْمَرِيْضُ ذُو غِلٍّ خُتِمْ أَعْمَى وَلَاهٍ مُقْفَلٌ قَلْبٌ أَثِمْ

٥- قَاسٍ وَجَبَّارٌ غَلِيْظٌ مُنْكِرُ وَأَغْلَفٌ وَزَائِغٌ لَا يَذْكُرُ

٦- وَالنَّجِسُ الْمُنَافِقُ الْمُرْتَابُ وَالْمُشْمَئِزُّ ذُو الْهَوَى الْكَذَّابُ

٧- ذُو الطَّبْعِ فِيْ الرَّانِ أو فِيْ غَمْرَةْ فِيْ الْكِبْرِ فِي أَكِنَّةٍ فِيْ سَكْرَةْ

٨- فَالسَّيْرُ بِالسَّلِيمِ مِنْ خِلَالِ مَعْرِفَةِ الْإِلَهِ ذِيْ الْجَلَالِ

٩- يَتْلُوْهُ إِخْلَاصٌ يَقِيْنٌ رَغْبَةْ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ فَقْرٌ تَوْبَةْ

١٠- وَالْوَرَعُ الْحَيَاءُ وَالْمُرَاقَبَةْ وَالشُّكْرُ وَالتَّفَكُّرُ الْمُحَاسَبَةْ

١١- مَحَبَّةٌ وَالصَّبْرُ وَالتَّدَبُّرُ وَالْهِمَّةُ الْحَيَاةُ وَالتَّذَكُّرُ

١٢- وَالزُّهْدُ والْخُشُوعُ والتَّوَكُّلُ والصِّدْقُ وَاسْتِقَامَةٌ تَبَتُّلُ

١٣- وَالسِّرُّ وَالْإِخْبَاتُ وَالْمُشَاهَدَةْ وَالشَّوْقُ وَالْفِرَارُ وَالْمُجَاهَدَةْ

١٤- تَـقْـوَى وَأُنْـسٌ أُلْـفَـةٌ تَـعْـظِـيْـمُ وَالـثِّـقَـةُ الـتَّـفْـوِيْـضُ وَالـتَّـسْـلِـيْـمُ

١٥- وَالْـيَـقْـظَـةُ الْإِنَـابَـةُ الـتَّـمَـكُّـنُ وَالْـغَـيْـرَةُ السَّـكِـيْـنَـةُ الـتَّـطَـمْـؤُنُ

١٦- وَالِانْشَـرَاحُ وَالرِّضَـا الْإِشْـفَاقُ وَالْـغُـرْبَـةُ الـتَّـضَـرُّعُ السِّـبَـاقُ

١٧- فَـهَـذِهِ الْأَعْـمَـالُ قُـوْتُ الْـقَـلْـبِ فَـاظْفَرْ بِهَـا فِيْ السَّـيْرِ نَحْوَ الرَّبِّ

١٨- وَاحْذَرْ مِنَ الْأَضْـدَادِ فَهْيَ مُبْعِدَةْ عَن رَّبِّنَـا، وَلِلْقُلُوبِ مُفْسِـدَةْ

الشرح:

١-الْقَلْبُ نَوْعَانِ سَـــلِيمٌ وَسَـــقِيمْ أُوْلَاهُمَـا الْمُنِيـبُ وَالْقَلْـبُ الرَّحِيمْ

أي تعود كل القلوب إلى نوعين: الأول: قلوب سليمة، والثاني: سقيمة.

القسم الأول: القلوب السليمة:

قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ [الشعراء: ٨٨ – ٨٩]. وهذه القلوب السليمة المذكورة في القرآن كالتالي:

١-**القلب المنيب:** قال تعالى: ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾ [ق:٣١-٣٤]. وهو كثير الرجوع إلى الله.

٢-**القلب الرؤوف والرحيم:** قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ ﴾ [الحديد: ٢٧]. وقال النبي -ﷺ-: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ» [م].

٢- الْخَاشِـــعُ الْمُسَـــكَّنُ الْمُزَيَّنُ وَالْمُـطْـمَـئِـنُّ وَالـتَّـقِـيُّ الـلَّـيِّـنُ

٣-**القلب الخاشع:** قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦].

٤-القَلْبُ المُسَكَّنُ؛ قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤].

٥-القلب المزين بالإيمان؛ قال تعالى:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ٧].

٦-القلب المطمئن؛ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

٧-القلب التقي؛ قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٣].

٨-القلب اللين؛ قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣]. وقال النبي -ﷺ-: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ» [خ].

٣-وَالْوَجِـلُ الْمَهْـدِيُّ وَالْمُثَبَّـتُ حَـيٌّ وَطَـاهِـرٌ أَلِـيـفٌ مُـخْـبِـتُ

٩-القلب الوجل؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢].

١٠-القلب المهدِيّ؛ قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١].

١١-القلب المُثبَّت؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٢].

وكَانَ أَكْثَرُ دُعَاء النبي-ﷺ-: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» [صحيح: حم، ت]. وذلك أن من طبيعة القلوب التقلب؛ قال النبي-ﷺ-: «لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا» [حسن: حم: طب، ك].

١٢-القلب الحي؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]. أي قلب حي، وقوله -ﷺ-: «لَا تُكْثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ» [صحيح: حم، جه]. فدل على أن هناك قلوبًا حية وقلوبًا ميتة.

١٣-القلب الطاهر؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وقال: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

١٤-القلب المؤتلف؛ قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]. وقال النبي -ﷺ-: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا» [ق]. فدل على أن هناك قلوبًا مؤتلفة وقلوبًا مختلفة؛ وقال النبي -ﷺ-: «اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ» [م].

١٥-القلب المخبت؛ قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤].

٤-ثَانِيهِمَا الْمَرِيضُ ذُو غِلٍّ خُتِمْ أَعْمَى وَلَاهٍ مُقْفَلٌ قَلْبٌ أَثِمْ

القسم الثاني: القلوب السقيمة:

١-القلب المريض؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥].

٢-القلب الغليل؛ أي فيه حقد وخبث وكراهية وغيظ؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ

سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

٣-القلب المختوم؛ قال تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٧].

٤-القلب الأعمى؛ قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

٥-القلب اللاهي؛ قال تعالى: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنبياء: ٣]. وقال النبي -ﷺ-: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ» [حسن: ت، ك].

٦-القلب المقفل؛ قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

٧-القلب الآثم؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

٥- قَـاسٍ وَجَبَّـارٌ غَلِيْظٌ مُنْكِرُ وَأَغْـلَـفُ وَزَائِـغٌ لَا يَـذْكُـرُ

٨-القلب القاسي؛ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤]. وقال: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٣]. وقال: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [الحج: ٥٣]. وقال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر: ٢٢].

٩-القلب الجبار؛ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥]. فمتكبر وجبار صفتان للقلب على قراءة تنوين (قلب).

١٠-القلب الغليظ؛ قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ-، قَالَ: «الإِيمَانُ هَا هُنَا -وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى اليَمَنِ-وَالجَفَاءُ وَغِلَظُ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ» [ق].

١١-القلب المُنكِر؛ قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢].

١٢-القلب الأغلف؛ قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

١٣-القلب الزائغ؛ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]. وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

١٤-القلب الغافل؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال النبي: -ﷺ-: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ» [حسن: ت، ك].

٦- وَالنَّجِسُ الْمُنَافِقُ الْمُرْتَابُ وَالْمُشْمَئِزُّ ذُو الْهَوَى الْكَذَّابُ

١٥-القلب النجس؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]. لم يطهرها فأبقاها نجسة، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

١٦-القلب المنافق؛ قال تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٧].

١٧-القلب المرتاب؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: ٤٥].

١٨-القلب المشمئز من توحيد الله؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥].

١٩-القلب المُشرَب بالهوى؛ قال تعالى: ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة: ٩٣]. وقال النبي -ﷺ-: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ» [م].

٢٠-القلب المكذب؛ قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُـَٔوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾

[المائدة: ٤١]. وقوله: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾[الشعراء: ١٩٨ – ٢٠١]. أي سلك التكذيب في قلوبهم.

٧–ذُو الطَّبْعِ فِيْ الرَّانِ أو فِيْ غَمْرَةْ فِيْ الْكِبْرِ في أَكِنَّةٍ فِيْ سَكْرَةْ

٢١-القلب المطبوع؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٦].

٢٢-القلب الرائن؛ قال تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

٢٣-القلب المغمور؛ قال تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٣].

٢٤-القلب المتكبر؛ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥]. فمتكبر وجبار صفتان للقلب على قراءة تنوين (قلب).

٢٥-القلب المُكَنَّنُ؛ أي المغطى من أثر المعاصي؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٥]. وقال: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ [فصلت: ٥].

٨-فالسَّيْرُ بِالسَّلِيمِ مِنْ خِلَالِ مَعْرِفَةِ الْإِلَهِ ذِيْ الْجَلَالِ

لا بد أن تسير إلى الله عز وجل، وأعظم أنواع السير، وأسرعه وصولاً إنما يكون بأعمال القلوب.

وهذه الأعمال تأخذ بقلبك إلى طريق الله، وإلى منهاجه القويم، وصراطه المستقيم؛ وهي عبارة عن سلسلة من الأعمال القلبية، لا بد للقلب المسافر إلى الله أن ينزل في كل منزلة منها، وأن يحط رحله في باحة كل واحدة منها.

وفيما يلي نأتيك بهذه المنازل والمراحل التي عليك أن تقطعها بقلبك منزلة منزلة ومرحلة مرحلة:

١-معرفة الله والإيمان به: «مَعْرِفَةِ الْإِلَهِ ذِيْ الْجَلَالِ»: قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾[محمد: ١٩]. فأول منزلة من منازل السير معرفة الله عز وجل والإيمان به.

فالبشر لا يعلمون عن الله شيئًا إلا ما شاء أن يطلعنا عليه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وشاء الله أن يطلعنا عن طريق رسله؛ قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧]، والإيمان بالله إيمان بالغيب، والغيب لا يعلمه الله؛ قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[النمل: ٦٥]، ولم يطلعنا إلا عن طريق رسله؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. فالإيمان بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله لا نتلقاها إلا عن طريق الوحي، وعلى المسلم الإيمان والتسليم والتعظيم، وعليه أن يتدبر الوحي وأن يتفكر فيه كما أرشدنا الله.

ويأتي ثانيًا: التفكر والتأمل فيما خلقه وبثه من المخلوقات في الأرض والسماوات، ولكن يكون هذا التفكر في ضوء الوحي لا مستقلًا؛ وثمرته زيادة الإيمان، وزيادة معرفة بالله عز وجل.

فتعرّفْ على الله دائمًا، وخاصةً في وقت الرخاء، تعرفْ عليه معرفة توحيد وإقرار، ومعرفة حب وتعظيم وإجلال وإقبال، فإنه سيعرفك في الشدة بأن يستجيب لك، ويؤيدك وينصرك.

وضد هذه المنزلة: الجهل بالله، والرياء، والخيلاء، والكفر، والنفاق، وحب الدنيا، والشهوات، وداء الشك، والشبهات، والهوى، والغرور، والحيرة، ضعف التدين.

٩-يَتْلُوْهُ إِخْلَاصٌ يَقِيْنٌ رَغْبَـةْ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَـاءُ فَقْرٌ تَوْبَـةْ

٢-الإخلاص: قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥]. وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢ – ٣]. فالإخلاص هو إفراد الله سبحانه بالقصد والتوجه والعبادة بحيث يستوي عند المخلص العمل في السر والعلانية، ولا يمازجه شائبة من الحظوظ القادحة في أصل الإخلاص كشهوات النفس والهوى والدنيا؛ لهذا كان شاقًّا على النفس؛ لأن تنقية القلب دائمًا من هذه الحظوظ يحتاج إلى جهد كبير لا انقطاع فيه؛ فالمخلصون هم الناجون من الشيطان؛ لهذا أمرنا الله أن نعبده بإخلاص؛ فامتثل ذلك الرسل وجعلوا حياتهم ومماتهم لله رب العالمين.

فعليك بالإخلاص؛ فإنه طريق إلى الجنة والسعادة في الدنيا والآخرة.

وضـــد هذه المنزلة: مرض الشـــرك والرياء والعجب والســـمعة والنفاق، وحب الدنيا، والشهوات، وداء الشك، والو سواس والشبهات، والهوى، والغرور، والفخر، والخيلاء.

٣-**اليقين:** قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٤]، وقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السـجدة: ٢٤]، وقال ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال: ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤، النمل: ٣، لقمان: ٤]، ففي البقرة عن المتقين، وفي النمل عن المؤمنين، وفي لقمان عن المحسنين؛ واليقين هو: مشاهدة القلب لعالم الغيب والإيمان به، كما تشاهد العين عالم الشهادة وتقطع به، فكما أن الشك لا يتطرق إلى العين فيما تشاهده، فكذلك لا يتطرق الشك إلى قلب الموقن فيما يؤمن به ويعتقده من الحق. وهو مراتب: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين. فعلمنا بالجنة في الدنيا علم اليقين، فإذا أُزلفت يوم القيامة ورآها أهل المحشـر قبل أن يدخلوها فهو عين اليقين، فإذا دخلها أهلها أصـبحت في حقهم حق اليقين. واليقين سبب النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة، يولِّد

الثبات، ويورث الزهد في الدنيا، والشوق إلى الآخرة، ويُكسب التأثر بما بثه الله من الآيات في السماوات والأرض، ويثمر التوكل والتجلد، مشى به سعد بن أبي وقاص ومن معه على نهر دجلة فتجمد، وشرب خالد السم فلم يضره، وبه مع الصبر تنال الإمامة في الدين.

وضد هذه المنزلة: مرض الشبهات، والشك والريب، والوسواس، وسوء الظن بالله، وحب الشهوات، والعشق، والهوى، والوهن.

٤-الرغبة فيما عند الله: قَالَ اللهُ تعالى عن رسله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]. أي يدعوننا بابتهال وتضرع راغبين فيما عندنا وراهبين من عقوبتنا. وقال الله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح:٧-٨]. أي ارغب إلى ما عند ربك وحده ولا تلتفت إلى غيره؛ فإن العطاء كل العطاء بيد الذي بيده خزائن كل شيء، وبيده الدنيا والآخرة والثواب والعقاب والجنة والنار. فالرغبة فيما عند الله: هي الحرص على ما عنده من الثواب، والطمع في جنته ودار كرامته. رغبة تشعل في القلب الهمة للعبادة، وتقتل الكسل والخمول، وتقضي على العوائق، وتستحثه على الجد بلا كلل، وعلى السير بلا ملل.

وضد هذه المنزلة: مرض الجفاء، والكسل، والفتور، والكبر، والحرص، وطول الأمل، والخلود إلى الأرض، وحب الدنيا، والشهوات.

٥-الخوف من الله: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وَقَالَ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. وهنا تلاحظ أربعة أمور وردت في الآيات (الخوف) و(الخشية) و(الرهبة) و(الوجل) ألفاظ متقاربة لكنها غير مترادفة. فالخوف: اضطراب القلب من تذكر المخوف. والخشية: أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، فهي خوف مقرون بمعرفة. والرهبة: خوف مع فزع وهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة. والوجل: رجفان القلب، وانصداعه عند ذكر الله؛ خوفًا منه، ومن عقوبته. والخوف من الله له ثمار كثيرة منها أنه طريق إلى الإخلاص، والتمكين في الأرض والنجاة من كل سوء، والاستظلال بظل الله يوم القيامة، ودخول الجنة، ونيل رضا الله وهو أكبر نعيم...

وضد هذه المنزلة: مرض الهوى، القسوة، والجرأة على الله، وحب الشهوات، والإرجاء، والنفاق، العشق، حب الدنيا، حب الشهوات.

٦-الرجاء: وهو الاستبشار بكرم الله وفضله، والارتياح لمطالعة جوده، وتعليق القلب على ذلك. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ

وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٥]، وَقَالَ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨]. والقلب يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، فهما جناحان لا بد منهما في السير وإلا يحدث الانحراف، ويغلب أحدهما على الآخر على حسب الحال الذي يمر به السائر إلى الله فقبل الوقوع في المعصية يغلب الخوف، وعند الموت يغلب الرجاء؛ وقد أخبر الله عن بعض الملائكة والرسل والصالحين أنهم يسيرون بين الخوف والرجاء، فقال: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وضد هذه المنزلة: القنوط، واليأس، وسوء الظن، الغلو، الهوى.

٧-الفقر إلى الله: وهو شعور العبد بفقره، وشدة احتياجه لربه في كل حالة؛ نتيجة لحاجته الدائمة، ولمعرفة غنى ربه المطلق. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]. وهذا فقر عام ملازم كل الناس؛ فالله –سبحانه–أخرج العبد من بطن أمه فقيرًا من كل شيء، لا يعلم شيئًا ولا يقدر على شيء، ولا يملك شيئًا، ولا يقدر على عطاء ولا منع ولا ضر ولا نفع ولا شيء البتة، فكان فقره في تلك الحال أمرًا مشهودًا محسوسًا لكل أحد، لا ينكره ولا يجادل فيه أي

مجادل، فلما أسبغ الله عليه نعمته، وأفاض عليه رحمته، وساق إليه أسباب كمال وجوده ظاهرًا وباطنًا، استكبر من استكبر، ونسي من نسي، والموفق من استشعر دائمًا أنه فقير إلى ربه؛ ولهذا كان -ﷺ- أكمل الخلق عبودية، وأعظمهم شهودًا لفقره وضرورته وحاجته إلى ربه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، كان من دعائه: «اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت» [صحيح: حب].

وضد هذه المنزلة: مرض الكبر، والاستغناء عن الله، والغفلة، والجحود، واليأس، والقنوط.

٨-التوبة: وهي الرجوع إلى الله بترك الذنب مخافة لله، وباستشعار قبح ذلك الذنب، وندم على المعصية من حيث هي معصية، والعزيمة على ألا يعود إليها إذا قدر عليها، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة.

وأدلتها كثيرة جدًا، منها قوله تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي سُورَةٍ مَدَنِيَّةٍ، خَاطَبَ اللهُ بِهَا أَهْلَ الْإِيمَانِ وَخِيَارَ خَلْقِهِ أَنْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ، بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَ صَبْرِهِمْ، وَهِجْرَتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ، ثُمَّ عَلَّقَ الْفَلَاحَ بِالتَّوْبَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]. وقال-ﷺ-: «وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» [خ]. وقد وعد الله بقبولها من عباده، فقال:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥]. وفتح لهم أبواب الرجاء في عفوه ومغفرته، وأمرهم أن يلجؤوا إلى ساحات كرمه وجوده، طالبين تكفير السيئات وستر العورات، وقبول توبتهم، لا يطردهم من رحمة الله طارد، ولا يوصد بينهم وبين الله باب. قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وضد هذه المنزلة: مرض التسويف، القنوط، اليأس، سوء الظن، الهوى، الشبهات، الشهوات، العشق.

١٠-وَالْوَرَعُ الْحَيَاءُ وَالْمُرَاقَبَةْ وَالشُّكْرُ وَالتَّفَكُّرُ الْمُحَاسَبَةْ

٩-الورع: وهو ترك ما يضر في الآخرة. وهو ملاك الدين. قال-ﷺ-: «فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ» [حسن: شيبة، ك، هق]. وقد جمع النبي-ﷺ-الورع كله في كلمة واحدة فقال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» [صحيح: ت]. فهذا الترك قلبي أولاً ثم ينعكس إلى ترك ما لا يعني بالجوارح كالكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشي، والفكر، فهذه الكلمة كافية شافية في الورع. وقال -ﷺ-: «يا أبا هريرة كن ورعًا، تكن أعبد الناس» [صحيح: ت]. وقيل للحسن بن علي: ما

حفظت من رسول الله -ﷺ-؟ قال: حفظت من رسول الله -ﷺ-: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» [صحيح: ت].

وضد هذه المنزلة: مرض الطمع، والظلم، والعدوان، والخداع، والغش، والفجور، واللؤم.

١٠-**الحياء:** وهو خُلُقٌ قلبي يَبعَثُ صاحبَه على اجتِنابِ القَبيحِ، ويَمنعُ مِنَ التَّقصيرِ في حقِّ ذي الحقِّ. والحياء يكون من الله ومن الملائكة ومن الناس ومن النفس. وهو شعبة من الإيمان ولا يأتي إلا بخير. ونكتفي بذكر حديث عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «استحيوا من الله حق الحياء» قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال: «ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء» [حسن: حم، ت].

وضد هذه المنزلة: الفجور، الوقاحة، الفحش، الجبن، الخبث، الخداع، الخذلان، الخيانة، الذل، والغدر، والغش، والبذاءة.

١١-**المراقبة لله:** وهي دوام استشعار القلب ويقينه بأن الله مطلع على ظاهره وباطنه؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن

مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤]، وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران: ٥]، وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩]. فإذا علم العبد ذلك راقب الله وجوَّد الطاعات، واجتنب السيئات.

فالمراقبة طريق في الدنيا إلى الإحسان؛ قال النبي -ﷺ-: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» [ق]، وفي الآخرة إلى الجنان؛ قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وضد هذه المنزلة: الغفلة، القسوة، الخداع، النفاق، الرياء، الغرور، حب الشهوات، والدنيا، الهوى، الشبهات، اليأس.

١٢-الشكر: وهو الاعتراف بالنعمة، والثناء عليه بها، والعمل بما يرضيه فيها. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [النحل: ١١٤] وَقَالَ: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وَقَالَ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾

شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ [النحل: ١٢٠،١٢١] وَقَالَ عَنْ نُوحٍ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨] وَقَالَ: ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧] وَقَالَ: ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وَقَالَ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧] وَقَالَ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ٥]، وَسَمَّى نَفْسَهُ شَاكِرًا وَشَكُورًا وَسَمَّى الشَّاكِرِينَ بِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمْ مِنْ وَصْفِهِ. وَسَمَّاهُمْ بِاسْمِهِ. وَحَسْبُكَ بِهَذَا مَحَبَّةً لِلشَّاكِرِينَ وَفَضْلًا. وَإِعَادَتُهُ لِلشَّاكِرِ مَشْكُورًا. كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢] وَرِضَا الرَّبِّ عَنْ عَبْدِهِ بِهِ. كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧] وَقِلَّةُ أَهْلِهِ فِي الْعَالَمِينَ. كَقَوْلِهِ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]. والشكر يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح، وكله عمل؛ قال تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]. وكَانَ نبينا يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا» [خ].

وضد هذه المنزلة: الجحود، اليأس، الكفران، الإعراض، الغرور، العجب، الفخر، الخيلاء، الكبر، الحرص، طول الأمل.

١٣- التفكر: وهو تصرف القلب بالنظر في الدلائل. وقد دلت الأدلة على وجوب تفكر المؤمن، ومن ذلك تفكره في الآيات المنزلة، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]، و قال: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩]. وتفكره في المخلوقات المبثوثة في أرجاء الكون، والتفكر في خلق السماوات والأرض، وفي اختلاف الليل والنهار، وفي البحار والسحاب المسخر بين السماء والأرض، وحركة النجوم وفي الزروع والنبات... قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١]، ويتفكر في نفسه كم فيها من العجائب، وفي خلقها، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ [الروم: ٨]، وقال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، وفي عذاب الله وعقابه، وجنته ورحمته. والتفكر

في عاقبة من مضى من الأمم، وما هو السبب في هلاك من هلك منهم؟ قال تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]. وفي أمر الدنيا قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

وضد هذه المنزلة: الغفلة، الإعراض، التكبر، التبلد، موت القلب، الشهوات، الشبهات، الهوى.

١٤-المحاسبة: وهي النظر في أعمال النفس، واستدراك الأخطاء، والمضي في الصالحات. ويسبقها في أول النهار مشارطة للنفس ثم مراقبة لها لتطبيق الشروط ثم في الليل جلسة محاسبة، فإن كانت أخطاء فمعاقبة، وإن لم فمعاتبة. وقد أمر الله بها في قوله تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر: ١٨]، أَمَرَ سُبْحَانَهُ الْعَبْدَ أَنْ يَنْظُرَ مَا قَدَّمَ لِغَدٍ، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ مُحَاسَبَةَ نَفْسِهِ عَلَى ذَلِكَ، وَالنَّظَرَ هَلْ يَصْلُحُ مَا قَدَّمَهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ بِهِ أَوْ لَا يَصْلُحُ؟ وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا النَّظَرِ مَا يُوجِبُهُ وَيَقْتَضِيهِ، مِنْ كَمَالِ الِاسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ، وَتَقْدِيمِ مَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ

اللهِ، وَيُبَيِّضُ وَجْهَهُ عِنْدَ اللهِ. قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وتزينوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]. والمحاسبة على كل صغيرة وكبيرة؛ لأن الله سيحاسبك على ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤].

وضد هذه المنزلة: الغفلة، القسوة، الإهمال، التسويف، الإرجاء، طول الأمل، الحرص، حب الدنيا، حب الشهوات، الوهن.

١١-مَحَبَّةُ وَالصَّبْرُ وَالتَّدَبُّرُ وَالْهِمَّةُ الْحَيَاةُ وَالتَّذَكُّرُ

١٥-المحبة: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، و قال النبي-ﷺ-: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» [ق]. فمحبة الله هي: ميل القلب إلى الله بالحب والتعظيم والإجلال والرجاء والطاعة. وتقتضي محبة الله محبة رسوله وأوليائه، وموالاتهم، والبراءة من أعدائهم، وتقتضي أن تتصف بتلك الصفات التي يحبها، فالله يحب المحسنين، والصابرين، ويحب التوابين والمتطهرين، والمتقين، والمتوكلين، والمقسطين، والمجاهدين؛ وأن تجتنب تلك الصفات التي لا يحبها، فالله لا يحب

المعتدين والمفسدين والكافرين والظالمين والمسرفين والمستكبرين والفرحين ولا يحب المختال والفخور والأثيم والخوان ولا يحب الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، وتقتضي محبة الله أن لا تقدم عليها أي محبة ويتلوه محبة رسوله وإلا فهو فسق وهلاك.

وضد هذه المنزلة: البغض، والكراهية، وسوء الظن، واليأس، والتكبر، والغفلة، وحب الدنيا، والشهوات، والهوى، والعشق، والشبهات.

١٦-الصبر: وهو حَبْسُ النَّفْسِ عن الجَزَعِ، وعن فعل ما لا يَحسُنُ، ويكون من أجل الله؛ قال تعالى: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ [المدثر: ٧]. ويكون الصبر على الأذى في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤] وعلى الأقدار؛ قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وعلى الطاعات، وعن الوقوع في المعصية. ومن ثماره الظفر بالفلاح قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] ، والمغفرة، قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [هود: ١١] والأجر الكبير بغير حساب، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم

بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر: ١٠]، والنجاة من الخسران، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[العصر: ١ - ٣]، وهو طريق إلى الجنة، ودخولها، وسلام الملائكة على أهلها؛ قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤]، ونيل الإمامة في الدين؛ قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]، ومعية الله؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة: ١٥٣]، ونصره، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٢٥٠] وقوله -ﷺ-: « وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ » [صحيح: حم، ك]، ومحبته؛ قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ۚ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٦] ورحمته، والحفظ من كيد الأعداء؛ قال تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وضد هذه المنزلة: الجزع، الغضب، الفتور، الانهزام، الكسل، الفظاظة، الوهْن، وحب الدنيا، والشهوات، والهوى، والعشق، والشبهات.

١٧-التدبر: وهو التأمل والتفكر في الوحي (الكتاب والسنة)، من أجل فهمه، وإدراك مراميه، والعمل بما فيه؛ ومفاتيحه كثيرة منها حب الوحي، والحفظ للقرآن والسنة، فأما حفظ القرآن فواضح، وأما حفظ السنة فيكفي في حفظها أن يبدأ بالأربعين النووية، ثم الوجيز في السنة النبوية، ثم معالم السنة النبوية والأخيران لصالح الشامي؛ والدعاء واستحضار أهداف القراءة، والربط والتكرار، والاستعانة بالتفاسير السهلة والشروح، كل ذلك يساعد في التدبر؛ ومن رحمة الله أن جعل وحيه سهلاً ميسراً لكل الناس أن يصلوا إليه بأنفسهم؛ ومن أدلة التدبر: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[ص: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[محمد: ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾[المؤمنون: ٦٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الزخرف: ٣].

وضد هذه المنزلة: الغفلة، والجهل، والقسوة، وحب الدنيا، والشهوات، والهوى، والعشق، والشبهات.

١٨-الهمة: قال تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٧]، وقال النبي -ﷺ-: «إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَمَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا» [صحيح: ك].

والهمة العالية: هي استشراف معالي الأمور وطلبها، واستصغارُ ما دونَ الذروة؛ كطلب الفردوس من الجنة، وكطلب النبي -ﷺ-للوسيلة، وطلب مرافقته في الجنة... ونحو ذلك.

وقد حث الإسلام على الهمة العالية حثًّا عظيمًا، فنجده يأمر بالمسارعة والمسابقة والمبادرة بالأعمال، ويحث على التبكير والصف الأول، والبذل وتنويع الأعمال الصالحة، ويرتب الأجر على النية الصادقة... ويوجه بالاستعاذة من الهم والحزن والعجز والكسل...

والهمم مراتب وأعلاها همةٌ تصون القلبَ عن وحشة الرغبة في الفاني، وتحمله على الرغبة في الباقي، وتصفيه من كدر الكسل والفتور والتواني.

وضد هذه المنزلة: الكسل، والفتور، والتواني، الدناءة، والوهن، القلق، الحزن، الهم، حب الدنيا، والشهوات، والعشق.

١٩-الحياة: والمقصـود حياة القلب بالهداية والإيمان والقرآن والمحبة والعبادة والذكر والعلم؛ فمن تحصـل على ذلك أحياه الله حياة طيبة. ومَن عُدم ذلك فهو مَيِّتُ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، وَإِنْ كَانَ حَيَّ الْبَدَنِ فَجَسَدُهُ قَبْرٌ يَمْشِي بِهِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٦٩ - ٧٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [النمل: ٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. وَشَبَّهَهُمْ فِي مَوْتِ قُلُوبِهِمْ بِأَهْلِ الْقُبُورِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ مَاتَتْ أَرْوَاحُهُمْ، وَصَارَتْ أَجْسَامُهُمْ قُبُورًا لَهَا، فَكَمَا أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ أَصْحَابُ الْقُبُورِ، كَذَلِكَ لَا يَسْمَعُ هَؤُلَاءِ. والقلب بلا وحي لا روح فيه؛ لأن الوحي هو الروح، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وضد هذه المنزلة: الغفلة، القسوة، عمى القلب، موته، الإعراض، النفاق.

٢٠-التذكر: وهو نتاج التفكر والتدبر، ومنزلته منهما كحُصُولِ الشَّيْءِ الْمَطْلُوبِ بَعْدَ التَّفْتِيشِ عَلَيْهِ. وهو عظة وعبرة توصل إلى الرجوع والإنابة

إلى الله. وقد ورد كثيرًا في القرآن، ومن ذلك قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣]، وقولُه تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩] وَقَولُه تَعَالَى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[البقرة: ٢٦٩]. قَالَ عَنِ الْقُرْآنِ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤٨]، وَقَالَ فِي آيَاتِهِ الْمَنظورة: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٦-٨]. وقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٦-٣٧].

وضد هذه المنزلة: القسوة، الغفلة، موت القلب، الإعراض، الجهل، العشق، حب الشهوات، والهوى، والشبهات.

١٢-وَالزُّهْدُ والْخُشُوعُ والتَّوَكُّلُ والصِّدْقُ وَاسْتِقَامَةٌ تَبَتُّلُ

٢١-الزهد: وهو تَرْكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ. وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنَ التَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِخْبَارِ بِخِسَّتِهَا، وَقِلَّتِهَا وَانْقِطَاعِهَا، وَسُرْعَةِ فَنَائِهَا. وَالتَّرْغِيبِ فِي الْآخِرَةِ، وَالْإِخْبَارِ بِشَرَفِهَا وَدَوَامِهَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ

تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]، وَقَالَ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [الكهف: ٧-٨]، و قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]، و قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠]. والزَّاهِدُ لَا يَفْرَحُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَوْجُودٍ، وَلَا يَأْسَفُ مِنْهَا عَلَى مَفْقُودٍ؛ قال تَعَالَى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: ٢٣].

وضد هذه المنزلة: حب الدنيا، حب الشهوات، حب المال، حب التسلط، والتملك، وحب الانتقام، والحرص، وطول الأمل.

٢٢-الخشوع: وهو لين القلب، وخضوعه، ورقته، وسكونه، وحضوره وقت تَلبُّسه بطاعة الله، فتتبعه جميع الجوارح والأعضاء ظاهرًا وباطنًا؛ لأنها تابعة للقلب، وهو أميرها، وهي جنوده. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٢]. ومن

ثماره ثبات المغفرة والأجر العظيم للخاشعين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:٣٥]. ولقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[آل عمران:١٩٩]. وكان -ﷺ- يستعيذ ويقول: «وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ» [م]. وله فضائل جمة: منها أنه مَن فرَّغ قلبه لله تعالى في صلاته انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومنها أنه مَن صلى ركعتين لا يُحَدِّث فيهما نفسَه غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومنها أنه مَن صلَّى صلاةً مكتوبةً فأحسن خشوعها كانت كفّارةً، ومنها أنه من صَلَّى ركعتين مقبلًا عليهما بقلبه ووجهه وجبت له الجنة. ومنها أن الأجر في العبادة يكتب على قدر الخشوع... ويتوصل إليه في الصلاة بحضور القلب، وتدبر المقروء، واستشعار عظمة الله، وعظمة الوقوف بين يديه...

وضـــد هذه المنزلة: القســـوة، الغفلة، طول الأمل، حب الدنيا، العشـــق، التعلق بغير الله، الهوى، حب الشهوات، والشبهات.

٢٣-التوكل: وهو صـدق اعتماد القلب على الله في جلب المنافع، ودفع المضـــار، مع فعل الأســـباب التي أمر الله بها. وقد ورد كثيرًا في كتاب الله، فقد أمر به المؤمنين فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وَقَالَ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، ووعد بأنه من توكل عليه فهو كافيه فقَالَ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وَقَالَ عَنْ أَوْلِيَائِهِ: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وَقَالَ لِرَسُولِهِ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا﴾ [الملك: ٢٩]، وَقَالَ أيضًا: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، وَقَالَ لَهُ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ٨١]، وَقَالَ لَهُ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَالَ لَهُ: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وَقَالَ عَنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢]، وَقَالَ عَنْ أَصْحَابِ نَبِيِّهِ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ووصـــف المؤمنين

بـأنهم يتوكلون على الله قـالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، و قال النبي -ﷺ-: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» [صحيح: حم، جه، ت، ك].

وضـد هذه المنزلة: شـرك الأسـباب، والتطير، والتشـاؤم، والتواكل، والوهن، والانهزام.

٢٤-الصدق: وهُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ، الْمُتَّصِلُ بِاللهِ، الْمُوَصِّلُ إِلَى اللهِ. وَهُوَ مَا كَانَ بِهِ وَلَهُ، مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ. وَقَدْ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. وجعله من صـفات المنعم عليهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النساء: ٦٩]، فَهُمُ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وأَعْلَى مَرَاتِبِ الصِّدْقِ: مَرْتَبَةُ الصِّدِّيقِيَّةِ. وَهِيَ كَمَالُ الِانْقِيَادِ لِلرَّسُولِ -ﷺ-، مَعَ كَمَالِ الْإِخْلَاصِ لِلْمُرْسِلِ. وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ: أَنْ يَسْأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ مُدْخَلَهُ وَمُخْرَجَهُ عَلَى الصِّدْقِ. فَقَالَ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]. وَأَخْبَرَ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ -ﷺ-، أَنَّهُ سَأَلَهُ

أَنْ يَهَبَ لَهُ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ، فَقَالَ: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]. وَبَشَّرَ عِبَادَهُ بِأَنَّ لَهُمْ عِنْدَهُ قَدَمَ صِدْقٍ، وَمَقْعَدَ صِدْقٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [يونس: ٢]. وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥]. فَهَذِهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ: مُدْخَلُ الصِّدْقِ، وَمُخْرَجُ الصِّدْقِ. وَلِسَانُ الصِّدْقِ، وَقَدَمُ الصِّدْقِ، وَمَقْعَدُ الصِّدْقِ. وهو من أسباب دخول الجنة فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ. وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا». [ق].

وضد هذه المنزلة: التكذيب، والوهم، والشك، وسوء الظن، والنفاق، والرياء، والعجب، والغرور، والتكبر، والخداع، والخيانة.

٢٥-الاستقامة: وهي ثبات القلب على امتثال الأوامر، واجتناب النواهي. وهي بهذا المعنى ترادف التقوى، وتجمع شرائع الدين كلها.

وقد رتب الله على الإيمان والاستقامة البشرى بالجنة، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣ أُوْلَٰٓئِكَ

أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤]. وَقَد أمر بها رسـولـه ومن اتبعـه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]، فَبَيَّنَ أَنَّ الِاسْـتِقَامَةَ ضِـدُّ الطُّغْيَانِ. وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الْحُدُودِ فِي كُلِّ شَـيْءٍ. وَقَالَ تَعَالَى آمرًا بها: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]. وَعَن سُـفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُـولَ اللهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ». [م].

وضد هذه المنزلة: التردد، الجفاء، الغلو، الانحراف، الطغيان، حب الشهوات، حب الدنيا، الحيرة، الوهم، الوسواس، الشبهات.

٢٦-التبتل: وهو الانقطاع إلى الله انقطاعًا تامًّا، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]. ومنه انْقِطَاعُ الْقَلْبِ عَنْ حُظُوظِ النَّفْسِ الْمُزَاحِمَةِ لِمُرَادِ الرَّبِّ مِنْهُ. وَعَنِ الْتِفَاتِه إِلَى مَا سِـوَى اللهِ، خَوْفًا مِنْهُ، أَوْ رَغْبَةً فِيهِ، أَوْ مُبَالَاةً بِهِ، أَوْ فِكْرًا فِيهِ، بِحَيْثُ يُشْغَلُ قَلْبُهُ عَنِ اللهِ.

وضد هذه المنزلة: التعلق بالدنيا، التعلق بالشهوات، التعلق بالعشق، التعلق بغير الله، الهوى، الشبهات، الحرص.

١٣-وَالسِّــرُّ وَالإِخْبَاتُ وَالْمُشَـاهَدَةْ وَالشَّـــوْقُ وَالْفِرَارُ وَالْمُجَاهَدَةْ

٢٧-السـر: وهو الأمر الخفي في القلب من تصـديق ومعرفة بالله وتوحيده مما لا يطلع عليه أحد إلا الله، وأهله أصحاب خفاء وسر، لا يتطلعون إلى رياسـة ولا إلى شـهرة. فعن سَـعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ حَيْثُ قَالَ لَهُ ابْنُهُ: أَنْتَ هَاهُنَا وَالنَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فِي الْإِمَارَةِ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ». [صحيح: حم]. وقال -ﷺ- : «رُبَّ أَشْـعَثَ أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَـمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ». [م]. فهذا السـر هو الذي أهَّلَ الضـعفاء أن يتبعوا الرسـل؛ قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ كما حكى الله: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٣١]، أي أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِـهِمْ، إِذْ أَهَّلَهُمْ لِقَبُولِ دِينِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَتَصْـدِيقِ رُسُـلِهِ، وَاللهُ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلِيمٌ حَكِيمٌ، يَضَـعُ الْعَطَاءَ فِي مَوَاضِـعِهِ، ويضـع سـره في ضـعاف خلقه. وَتَكُونُ هَذِهِ الْآيَةُ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]. وفي البخاري: «مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُـولِ اللهِ -ﷺ-، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ

فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا».

وضد هذه المنزلة: حب الشهرة، حب الظهور، الرياء، الفخر، الخيلاء، الكبر، النفاق.

٢٨-الإخبات: وهو سكون القلب، واطمئنانه وإنابته إلى الله مع التواضع والخشوع والخضوع. وقد عرّفه الله عز وجل في كتابه فقَالَ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤] ثُمَّ كَشَفَ عَنْ مَعْنَاهُمْ فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٥]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هود: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

وضد هذه المنزلة: القسوة، الشك، سوء الظن، التردد، الوهم، التكذيب، الهوى، حب الدنيا، والشهوات، والشبهات.

٢٩-المشـاهدة: وهي قُوَّةُ الْيَقِينِ، وَمَزِيدُ الْعِلْمِ، وَارْتِفَاعُ الْحُجُبِ الْمَانِعَةِ مِنْ ذَلِكَ، لَا نَفْسُ مُعَايَنَةِ الْحَقِيقَةِ. وهي التركيز والقوة المبصـرة للحق، عند سـماع القرآن. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]. فقد جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ كَلَامَهُ ذِكْرَى، لَا يَنْتَفِعُ بِهَا إِلَّا مَنْ جَمَعَ هَذِهِ الْأُمُورَ الثلاثة. أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ وَاعٍ، فَإِذَا فَقَدَ هَذَا الْقَلْبَ لَمْ يَنْتَفِعْ بِالذِّكْرَى، الثَّانِي: أَنْ يُصْغِيَ بِسَمْعِهِ كُلِّهِ نَحْوَ الْمُخَاطَبِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِكَلَامِهِ، الثَّالِثُ: أَنْ يُحْضِرَ قَلْبَهُ وَذِهْنَهُ عِنْدَ الْمُكَلِّمِ لَهُ، وَهُوَ الشَّهِيدُ؛ أَيِ: الْحَاضِرُ غَيْرُ الْغَائِبِ، فَإِنْ غَابَ قَلْبُهُ وَسَافَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْخِطَابِ.

وضد هذه المنزلة: عمى القلب، القسوة، موت القلب، النفاق، الغفلة، الإعراض، الهوى، حب الدنيا، الشهوات، الشبهات، العشق.

٣٠-الشـوق إلى لقاء اللّه: وهُوَ اهْتِيَاجُ الْقُلُوبِ إِلَى لِقَاءِ الله؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]. وَقَدْ صَحَّ فِي السـنة أن النَّبِيَّ -ﷺ- كان يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «وأَسْـأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ» [صحيح- شيبة، حم، ن، طب]، ومن ذلك شَوْقُ الْعَابِدِ إِلَى الْجَنَّةِ.

وضد هذه المنزلة: حب الدنيا، حب الشهوات، الخلود إلى الأرض، الحرص، طول الأمل، القسوة، الغلظة، الهوى، الشبهات.

٣١-الفرار إلى الله: وهو شدة الهرب مِمَّا سِوَى اللهِ إِلَى اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠]. وقال عن إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الصافات:٩٩]. والفرار يكون من شيء مخيف إلى شيء آمن، ومن فزع إلى اطمئنان. تفر إلى الله؛ لأن خلفك إبليس يسعى جاهدًا خلفك ليهلكك، وليجعلك من أصحاب السعير. فلا تؤخر الفرار. فرَّ إلى ربك في الدنيا راغبًا مختارًا قبل أن يأتي يوم تفرُّ إليه وأنت مضطرٌ إليه - وليس لك إلا هو - ولكن لا ينفعك الفرار حينها لأنك قد فررت منه وأعرضت عنه في الدنيا قال تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٠ - ١٢] وقال جل شأنه: ﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٍ﴾ [غافر: ٣٣] وقال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ﴾ [الشورى: ٤٧]، يفرُّ الإنسان في ذلك الموقف مِن كل مَن يمتُّون له بصلة في هذه الحياة يفر حتى من أبنائه وفلذات كبده، ولكن لا ينفع هذا الفرار إن لم يكن الإنسان من الفارين إلى الله في هذه الحياة الدنيا يقول سبحانه: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]. فلماذا نؤخر الفرار إلى العزيز

الجبار؟ لماذا نؤخر الفرار إلى الواحد القهار؟ هل نحن مغترون بصحتنا وقوتنا التي هي إلى ضعف وزوال؟ أم نحن مغترون بأموالنا التي لن يلحقنا منها شيء إذا متنا؟ أم نحن عالمون بموعد موتنا وانتقالنا عن هذه الحياة؟ لهذا نحن نؤخر الفرار إلى الله إلى قرب هذا الموعد، هذه أسئلة لا بد أن يسألها المسلم لنفسه، ولا بد أن يجد لها الإجابات المقنعة إن كان حقًّا يريد مرضاة الله سبحانه، وإن كان حقًا يريد النجاة من عذاب الله وعقابه. فتعالوا لنعلنها صريحة واضحة تحمل كل معاني الفرار إلى الله ظاهرًا وباطنًا: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ». متفق عليه.

وضد هذه المنزلة: التسويف، الكسل، الوهن، اليأس، القنوط، طول الأمل، الحرص، حب الدنيا، حب الشهوات، العشق، الهوى، الشبهات.

٣٢-المجاهدة في الله: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩]. فعلق سبحانه الهداية بالجهاد فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً، وأفرض الجهاد: جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته. وقال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾

[الحج:٧٨]. وحق الجهاد هو جهاد النفس. و قال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:٦]، والمقصود بالمجاهدة محاربة النفس بفطامها عن الأهواء والشهوات ونزع الأماني والشبهات، وبإلزامها الطاعات، وتركها للمحرمات. وهو أصعب أنواع المجاهدة، ويكون بترويض النفس حتى يسهل قيادها إلى الخير، وحتى تقصر عن الشر. وهذا الجهاد، لا ينتهي، ولا ينقطع ما مادامت نفسك بين جنبيك في الدنيا. ويجب أن تكون المجاهدة لله؛ وعن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ لِلَّهِ». [صحيح: حم].

وضد هذه المنزلة: الفتور، التسويف، الكسل، الوهن، طول الأمل، الحرص، حب الدنيا، حب الشهوات، العشق، الشبهات.

١٤-تَقْوَى وَأُنْسٌ أُلْفَةٌ تَعْظِيْمُ وَالثِّقَةُ التَّفْوِيْضُ وَالتَّسْلِيْمُ

٣٣-التقوى: وهي امتثال فعل الأوامر، وترك النواهي. وهي شاملة لكل مقامات الدين؛ ولهذا رتب الله عليها الجنة كثيرًا في كتابه، وأمر بها كثيرًا بلفظ (اتقوا الله) وبلغ (٥٤) مرة في القرآن، مما يدل أنها في غاية الأهمية.

ومن أهميتها أن الله خلقنا للتقوى؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وجعل كتابه هدى للمتقين؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]،

وأنزل القرآن وشَرَعَ الأحكام من أجل تحقيقها، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه: ١١٣]، وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقال: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١]، وقال في القصاص: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وفي الصوم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وأمرنا أن نتبع دينه وأن نسلك صراطه من أجلها فقال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وأنزل التوراة على موسى من أجلها فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٦٣]، وأن أهلها مع الإيمان هم أهل النجاة من النار؛ قال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر: ٦١]، وقال: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢]، وسبب النجاة عند إهلاك الله للأمم الظالمة؛ قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾[فصلت: ١٨]، وهي خير الزاد، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وخير اللباس؛ قال تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وميزان التفاضل بين الناس؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وكل رسول قال لقومه: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ الشعراء: ١٠٨ وهي وصية الله لنا ولمن قبلنا من أهل الكتاب؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾[النساء: ١٣١]، وهي البر والطريق إلى الفلاح؛ قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وإلى الشكر؛ قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وإلى محبة الله؛ قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران: ٧٦]، ورحمته؛ قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٦]، ونصره وتأييده؛ قال تعالى: ﴿ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، ومغفرته؛ قال

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩]، وحفظه من كيد الأعداء مع الصبر؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، ومعيته؛ قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وافتتاح بركاته؛ قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وشرط قبول الله للأعمال؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧]، والعاقبة لهم في الدنيا؛ قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، والعاقبة في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]، وقد وصف الله نفسه بأنه ولي المتقين؛ فقال: ﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٩]، وهم أولياؤه؛ قال تعالى: ﴿إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٤]، وقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾[يونس: ٦٢ - ٦٣]، وبه يُتحصل على العلم الشرعي؛ قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وضد هذه المنزلة: الشرك، النفاق، الإرجاء، الغلو، والجفاء، الطغيان، العدوان، الحسد، الحقد، الشحناء، حب الدنيا، والشهوات، الطمع، الهوى، الشبهات.

٣٤-الأنس بالله: قال النبي -ﷺ-: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» [ق]، عُدَّ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. فالأنس بالله هو اطمئنان القلب وسكونه بقرب الله منه، يرعاه ويلطف به؛ فيحب ربه وتهدأ نفسه بمعية الله له، ويستبشر بنعم الله عليه، وبفضله، ويفرح برحمة الله وذكره، لا يفتأ من التقرب إلى ربه حتى يسعد بالأنس بالله.

وضد هذه المنزلة: الوحشة، التعلق بغير الله، الحرص، حب الدنيا، حب الشهوات، العشق، الشبهات، الهوى.

٣٥-الألفة: وهي الأنسُ والاجتماعُ مع الالتئامِ، والاتفاق والمعاونة على تدبير الحياة فيما بين المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ

أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:٦٢-٦٣]، وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ -ﷺ-، قال: «إنَّ المؤمِنَ يأْلَفُ، ولا خيرَ فيمن لا يأْلَفُ ولا يُؤلَفُ». [صحيح: حم]. فلا تجتمع كلمة المسلمين إلا أن يسبق ذلك تآلف القلوب واجتماعها.

وضد هذه المنزلة: الشحناء، البغضاء، الكراهية، الحسد، الحقد، الشح، الخذلان الخيانة، الطمع، العدوان، الغلظة، اللؤم، المكر، الكيد، الهوى، الشهوات، الشبهات.

٣٦-التعظيم: والمقصود إجلال الرَّبِّ فِي الْقَلْبِ مع التذلل والخوف والتقدير حق التقدير، قال تعالى: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٧٤]. أي ما عظموا الله حق تعظيمه. والتعظيم تابع للمعرفة؛ فأَعْرَفُ النَّاسِ باللهِ أَشَدُّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا. والله من أسمائه العظيم ومن صفاته العظمة، وتتجلى عظمة الله في خلق الكون بتفاصيله من خلقٍ للسماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال...

وضد هذه المنزلة: الجهل بالله، الاستهزاء، السخرية، الخداع، النفاق، سوء الظن، اليأس، القنوط، الكبر.

٣٧-الثقة بالله تعالى: وهي تعلق القلب بما عند الله، والوثوق به، وانقطاعه عما في أيدي الناس، وعدم الركون إليهم. وهي اليقين الراسخ بأن الله لا يخلف الميعاد؛ وأنه على كل شيء قدير. وهناك آيات كثيرة تدل على الثقة بما عند الله، وبما وعد به، وأنه لا يتخلف. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥]. وقال: ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ٥٢]. وقال: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١ – ١٧٣]. وقال: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١]. وقال: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [غافر: ٧٧]. وقال: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١]. وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٩]. وقال: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٣]. وقال: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧]. وألهمَ أُمَّ مُوسَى بقوله: ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى

ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ﴾ [القصص: ٧]. فَإِنَّ فِعْلَهَا هَذَا هُوَ عَيْنُ ثِقَتِهَا بِاللهِ تَعَالَى، إِذْ لَوْلَا كَمَالُ ثِقَتِهَا بِرَبِّهَا لَمَا أَلْقَتْ بِوَلَدِهَا وَفِلْذَةِ كَبِدِهَا فِي تَيَّارِ الْمَاءِ، تَتَلَاعَبُ بِهِ أَمْوَاجُهُ، وَجَرْيَانُهُ إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي أَوْ يَقِفُ.

وضد هذه المنزلة: السخط، الغضب، الجزع، حب الدنيا، الجزع، طول الأمل، الحرص، الشك، سوء الظن، اليأس، القنوط.

٣٨-التفويض: وهو بَرَاءَةٌ وَخُرُوجٌ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَرَدُّ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَى اللهِ أولًا وآخرًا، قال تعالى عن مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤]. وَقَدْ أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ -ﷺ- بِأَنْ يَتَّخِذَهُ وَكِيلًا؛ فَقَالَ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: ٩].

وضد هذه المنزلة: الغرور، الجهل، العجب، النفاق، الشك، سوء الظن، التكبر، التكذيب.

٣٩-التسليم: وهو الرضا والإذعان والانقياد والاستسلام لشرع الله استسلامًا كاملًا، وانقيادًا مطلقًا. قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]. وليكن شعارك أيها المسلم «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»، لا شعار المغضوب عليهم حيث قالوا: « سمعنا وعصينا»، قال

تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١].

وضد هذه المنزلة: التكذيب، الغرور، الجهل، العجب، النفاق، الشك، سوء الظن، التكبر.

١٥-وَالْيَقْظَةُ الْإِنَابَةُ التَّمَكُّنُ وَالْغَيْرَةُ السَّكِينَةُ التَّطَمْئِنُ

٤٠-اليقظة: وهي كمال تنبه القلب وتحرزه عما لا ينبغي، وهي ضد الغفلة. وقد ذم الله الغفلة وأهلها، وصرَّح بأن أهلها أضل من الأنعام. وأنهم ذَرْءُ جهنم. ونهى رسوله أن يكون من الغافلين؛ مما يدل على الأمر باليقظة، وأهمية شأنها في حياة المسلم، مما يؤدي إلى تَحْدِيق الْقَلْبِ نَحْوَ الْمَطْلُوبِ، واستخدام السمع والبصر والفؤاد فيما يعود عليها بالنفع يوم القيامة، فاليقظة شعور مرهف يوصل إلى الفهم عن الله.

وضد هذه المنزلة: الغفلة، الفتور، الاغترار، الجهل، الكسل، العجز، الهم، الحزن، العشق، التبلد، موت القلب.

٤١-الإنابة: وهي رجوع القلب إلى الله في كل وقت، والإسراع إلى مرضاته، والسباق إلى محابِّه. وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهَا فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٤] وَأَثْنَى عَلَى خَلِيلِهِ بِهَا، وَقَالَ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥] وَأَخْبَرَ أَنَّ آيَاتِهِ إِنَّمَا يَتَبَصَّرُ بِهَا وَيَتَذَكَّرُ أَهْلُ

الْإِنَابَةِ، فَقَالَ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾ [ق: ٦] إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الروم: ٣١] وَقَالَ عَنْ نَبِيِّهِ دَاوُدَ: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] وَأَخْبَرَ أَنَّ ثَوَابَهُ وَجَنَّتَهُ لِأَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالْإِنَابَةِ، فَقَالَ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [ق:٣١-٣٤]، وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْبُشْرَى مِنْهُ إِنَّمَا هِيَ لِأَهْلِ الْإِنَابَةِ، فَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧].

وضد هذه المنزلة: التسويف، طول الأمل، الحرص، حب الدنيا، القنوط، اليأس، سوء الظن، العشق، الهوى، الشهوات، الشبهات.

٤٢-التمكن: وهو قوة الصبر ومتانة اليقين، بحيث لا ينجذب صاحبه لشبه المنافقين، ولا يتأثر بحرب الكافرين. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]. فَمَنْ وَفَّى الصَّبْرَ حَقَّهُ، وَتَيَقَّنَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ لَمْ يَسْتَفِزَّهُ الْمُبْطِلُونَ، وَلَمْ يَسْتَخِفَّهُ الَّذِينَ لَا

يُوقِنُونَ وَمَتَى ضَعُفَ صَبْرُهُ وَيَقِينُهُ أَوْ كِلَاهُمَا اسْتَفَزَّهُ هَؤُلَاءِ وَاسْتَخَفَّهُ هَؤُلَاءِ، فَجَذَبُوهُ إِلَيْهِمْ بِحَسَبِ ضَعْفِ قُوَّةِ صَبْرِهِ وَيَقِينِهِ، فَكُلَّمَا ضَعُفَ ذَلِكَ مِنْهُ قَوِيَ جَذْبُهُمْ لَهُ، وَكُلَّمَا قَوِيَ صَبْرُهُ وَيَقِينُهُ قَوِيَ انْجِذَابُهُ مِنْهُمْ وَجَذْبُهُ لَهُمْ.

وضد هذه المنزلة: التردد، الحزن، القلق، الهم، الغم، الأسف، الاكتئاب، سوء الظن، الاستخفاف، الوهن.

٤٣-الغَيرة: وهي الغضب إذا اسْتُهِينَ بالحقِّ أو انتُهكتِ الحُرمَة، وفي المتفق عليه قوله -ﷺ-: «مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ، وَمِنْ غَيْرَتِهِ: حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ». وعند مسلم قوله -ﷺ-: «إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ: أَنْ يَأْتِيَ الْعَبْدُ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ».

وضد هذه المنزلة: الإباء، الحمية الجاهلية، الفخر، الخيلاء، التهور، الغرور، العجب، النفاق، التكبر.

٤٤-السكينة: وهي سكون القلوب عنِ الرَّيبِ والشَّكِّ، وهي ثبات القلوب الطائرة، وهدوء الانفعالاتِ؛ تُورِثُ الخُشوعَ والخُضوعَ، واجتماع القلبِ على اللهِ، بحيث يؤدِّي عُبوديَّتَه بقلبِه وبدَنِه قانِتًا للهِ. وَهِيَ السُّكُونُ الَّذِي يُنْزِلُهُ اللهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ، عِنْدَ اضْطِرَابِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَخَاوِفِ. فَلَا يَنْزَعِجُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ. وَيُوجِبُ لَهُ زِيَادَةَ الْإِيمَانِ، وَقُوَّةَ الْيَقِينِ

وَالثَّبَاتِ. و قد أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ عَنْ إِنْزَالِهَا فِي قُلُوبِ المؤمنينَ؛ فالإيمانُ من أسبابِ كسبِها؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].

وضد هذه المنزلة: الفزع، الرعب، الريب، الشك، الوهم، القلق، التوتر، الانفعال، الزيغ، سوء الظن، الاستعجال.

٤٥-الطُّمأنِينَة: وهي سُكُونُ الْقَلْبِ إِلَى الشَّيْءِ. وَعَدَمُ اضْطِرَابِهِ وَقَلَقِهِ. وَمِنْهُ الْأَثَرُ الصحيح عند الترمذي وغيره، قوله -ﷺ-: «الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبُ رِيبَةٌ» أَيِ الصِّدْقُ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ قَلْبُ السَّامِعِ. وَيَجِدُ عِنْدَهُ سُكُونًا إِلَيْهِ. وَالْكَذِبُ يُوجِبُ لَهُ اضْطِرَابًا وَارْتِيَابًا. وَمِنْهُ ما صح عند أحمد وغيره قَوْلُهُ: -ﷺ-: «الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ» أَيْ سَكَنَ إِلَيْهِ وَزَالَ عَنْهُ اضْطِرَابُهُ وَقَلَقُهُ. وتكتسب الطمأنينة بالإيمان وكثرة الذكر، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. وعندها تصبح النفس مطمئنة، وتشرف بعدها بدخول الجنة. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

وضد هذه المنزلة: الفزع، الرعب، الريب، الشك، الوهم، القلق، التوتر، الانفعال، الزيغ، سوء الظن، الاستعجال.

١٦-وَالِانْشَـرَاحُ وَالرِّضَـا الْإِشْـفَاقُ وَالْغُرْبَـةُ التَّضَـرُّعُ السِّـبَـاقُ

٤٦-انشراح الصدر: وهو نور يقذفه الله في القلب؛ يؤدي إلى سعته لفهم الشرع، والسعادة، والحياة الطيبة. وهو من الله، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر:٢٢]. ولقد ذكّر الله عز وجل نبيّه محمّدًا -ﷺ-بما امتنّ به عليه فقال عز وجل: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشّرح: ١]. ولقد سأل موسى ربّه أن يشرح له صدره عندما أمره بالذّهاب لدعوة فرعون، أعتى أهل الأرض طغيانًا وكفرًا، قال عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٥-٢٦]. ولقد قدّم الله انشراح الصّدر على تيسير الأمر، لأنّ نور الهداية الّذي يشرح الله به صدر المؤمنين هو مفتاح التّيسير، وهو نعمةٌ لا تقدّر بثمنٍ، فإذا رأى الله في عبده الخير شرح له الصّدر، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[الأنعام: ١٢٥]. وإذا كان العبد ضالًّا معرضًا؛ ضيّق الله عليه صدره وجعله حرجًا، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وهذا ميزان عدلٍ لا يميل،

وطريقٌ لا ينحرف، فمن أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى يسرّه الله لليسرى، ومن بخل واستغنى وكذّب بالحسنى يسرّه الله للعسرى.

وضد هذه المنزلة: ضيق الصدر، الريب، الشك، الوهم، القلق، الوسواس، التوتر، الانفعال، الزيغ، سوء الظن.

٤٧-الرضـــا: قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، و قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]. فالرضا هو: ارْتِفَاعُ الْجَزَعِ من قلب العبد تُجاهَ أَيِّ حُكْمٍ مِنَ أحكامِ اللهِ. و قد مَدَحَ اللهُ أَهْلَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ وَنَدَبَهُمْ إِلَيْهِ، و قد صـرّح الله في كتابه عن أهل الإيمان والعمل الصـالح بأنه رَضِـيَ عَنْهُمْ وَرَضُـوا عَنْهُ، وفي مقدمتهم صـحابة رسـول الله في موضـعين. وفي صـحيح مسـلم أنّه -ﷺ- قال: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِـيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْـلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُـولًا». وعنده أيضًـا قال -ﷺ-: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْـمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَـرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ».

وضد هذه المنزلة: السخط، الغضب، الجزع، الريب، الشك، الوهم، القلق، التوتر، الانفعال، الزيغ، سوء الظن، الفتور، الانهزام، الكسل، الوهْن.

٤٨- الإشـــفـاق: وهو رِقَّةُ الْخَوْفِ؛ فإذا تعدى بحرف الجر (مِن) فهو خوفٌ مع حذر، و هذا هو الوارد في القرآن، فقد وصــف الله به ملائكته فقـال: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٨]. وذكر أنه من صفات المتقين فقَالَ: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨-٤٩]. ومن صــفات الـذين يســارعون في الخيرات قـال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴾ [المـؤمـنون:٥٧] إلـى أن قـال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦١]. وأنه من صـفات المؤمنين قال تعالى: ﴿ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٍ ﴾ [الشـــورى:١٨]. ومـن الصــفات التي يدخل بســببها أهل الجنة الجنة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴾ إلى أن قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴾ [المعارج:٢٧، ٣٥]. وأنها ســبب النجاة من النار، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ

ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٧]. وإذا تعدى بحرف الجر (على) يقال أشفق عليه: فهو خوفٌ مع عطف وحنان ورحمة.

وضد هذه المنزلة: التسويف، الإرجاء، اليأس، القسوة، النفاق، وحب الشهوات، الهوى، الشبهات.

٤٩-الغربة: والمقصود بها عزة القلب بما يقوم به القلة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر من الناس، القلة التي تقوم بالقسط، وتمنع الفساد في الأرض، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦]. وَهُمُ المعْنِيُّون بقولِ النَّبِيّ -ﷺ-فِي قَوْلِهِ: «إِنَّ الْإِيمَانَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى يَوْمَئِذٍ لِلغُرَبَاءِ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ» [صحيح-حم، مخ]، وفي لفظ: «قيل: يا رسول الله، ومَن الغرباء؟ قال: الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ» [حم، طب].

وَلِقِلَّتِهِمْ فِي النَّاسِ جِدًّا؛ سُمُّوا غُرَبَاءَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الصِّفَاتِ، فَأَهْلُ الْإِسْلَامِ فِي النَّاسِ غُرَبَاءُ، وَالْمُؤْمِنُونَ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ غُرَبَاءُ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْمُؤْمِنِينَ غُرَبَاءُ. وأهل الفهم الصحيح للإسلام غرباء. وقد ذكر الله الأكثرية في كتابه نحوًا من ستٍّ وستين مرةً على سبيل الذم، فأكثر الناس لا يعقلون ولا يعلمون ولا يفقهون ولا يؤمنون ولا

يشكرون ولا يسمعون، وأكثرهم فاسقون ويجهلون ويُضلون ومشركون وكافرون وللحق كارهون.

وهذه الغربة لا تعني اليأس، ولا الضعف، ولكن تعني العزة بما أنت عليه من الحق، وتعني القوة؛ لاتصالك بربك القوي المتين.

وضد هذه المنزلة: الذلة، الجبن، الشح، الهوى، حب الشهوات، الكسل، الفتور، النفاق.

٥٠-التضرع: وهو المبالغة في الشعور بالفقر والحاجة إلى الله، وهو أن تلجأ إلى الله مستغيثًا، تصرخ بقلبك وروحك وكيانك، تبكي ذليلاً بين يدي الغني القادر... تمد يديك بحاجتك لأبعد ما تستطيع، وتذرف الدموع... وتُنادي كل ذرَّة في جسدك وكل زفرة في روحك بالنجاة، ممن يملك طوق النجاة. وذلك أنَّ التضرع هو السبيل إلى النجاة عند الشدائد والمصائب والكوارث. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٣]. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٦٣-٦٤]. وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ

أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٤]، و كذلك التضـــرع مع الاستكانة هما شرطا النجاة، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٥ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٥-٧٦].

وضد هذه المنزلة: الكبر، الجهل، الاغترار، القسوة، الغفلة، طول الأمل، حب الدنيا، العشق، التعلق بغير الله.

٥١-السـباق إلى الله: وهو التقدم على منافسيك في القرب إلى الله من خلال الإسراع إلى المقرِّبات، والبعد عن المعوقات. وقد أمر الله به فقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد:٢١]، وقال تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]. وأثنى على أهله، فهم في أعلى المراتب، فقال: ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢]. وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون:٦١]. وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠]. وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الواقعة:١٠-١٢]. وقال عن

الملائكة: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ [النازعات:٤]. وقال عن رسله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وانظر إلى الصحابة الكرام وكيف كان سباقهم إلى الله، وتنافسهم على طاعته؛ لعل في ذلك شحذًا لهممنا حتى نلحق بركبهم ما استطعنا، أو نشم غبار خيولهم، ونشاهد مواطئ أقدامهم: فقد أخرج أبو داود والترمذي بسند صحيح عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: أمرنا رسول الله – ﷺ–أن نتصدق، فوافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقتُه يومًا!، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله –ﷺ–: «ما أبقيت لأهلك»؟ قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر – رضي الله عنه – بكل ما عنده، فقال له رسول الله –ﷺ–: « ما أبقيت لأهلك»؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا. وحديث: «سبقك عكاشة» [ق] وحديث: «سبق المفردون» [م] وحديث: «سبق أهل الدثور والأجور» وفيه قال رسول الله –ﷺ–: «أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة» [ق].

وضد هذه المنزلة: التسويف، الإعراض، النفاق، القسوة، الغفلة، طول الأمل، حب الدنيا، العشق، التعلق بغير الله، الحرص.

١٧-فَـهَـذِهِ الْأَعْـمَـالُ قُـوْتُ الْـقَـلْـبِ فَاظْفَرْ بِهَا فِيْ السَّـيْرِ نَحْوَ الرَّبِّ

أي فهذه الأعمال التي ذُكِرتْ تُشكل أهم أغذية القلب، التي بها يحيى، ويسعد، ويسلم من الأمراض التي تسبب العطب، فعليك أن تظفر بها، وتعمل بها في سيرك، نحو ربك، ستجد السعادة في الدارين.

١٨-وَاحْذَرْ مِنَ الْأَضْـــدَادِ فَهْيَ مُبْعِدَةْ عَن رَّبِّنَـا، وَلِلْقُلُوبِ مُفْسِـــدَةْ

أي احذر من أضداد هذه الأعمال التي سبقت؛ فإنها مبعدة للقلب عن الله، وهي مفسدة للقلب غاية الإفساد، وإذا فسد القلب فسد سائر البدن؛ قال النبي-ﷺ-: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ» [ق].

تم بحمد الله بتاريخ:

١٤٤٣/٢/٢٠هـ-٢٠٢١/٩/٢٧م

المحتويات

القسم الأول: القلوب السليمة: ٩
١-القلب المنيب؛ ٩
٢-القلب الرؤوف والرحيم؛ ٩
٣-القلب الخاشع؛ ٩
٤-الْقَلْبُ الْمُسَكَّنُ؛ ١٠
٥-القلب المزين بالإيمان؛ ١٠
٦-القلب المطمئن؛ ١٠
٧-القلب التقي؛ ١٠
٨-القلب اللين؛ ١٠
٩-القلب الوجل؛ ١١
١٠-القلب المَهدِيّ؛ ١١
١١-القلب الْمُثَبَّتُ؛ ١١
١٢-القلب الحي؛ ١١
١٣-القلب الطاهر؛ ١٢
١٤-القلب المؤتلف؛ ١٢
١٥-القلب المخبت؛ ١٢
القسم الثاني: القلوب السقيمة: ١٢
١-القلب المريض؛ ١٢
٢-القلب الغليل؛ ١٢
٣-القلب المختوم؛ ١٣
٤-القلب الأعمى؛ ١٣
٥-القلب اللاهي؛ ١٣
٦-القلب المقفل؛ ١٣
٧-القلب الآثم؛ ١٣
٨-القلب القاسي؛ ١٤
٩-القلب الجبار؛ ١٤

١٠-القلب الغليظ؛ ١٤
١١-القلب المُنكِر؛ ١٥
١٢-القلب الأغلف؛ ١٥
١٣-القلب الزائغ؛ ١٥
١٤-القلب الغافل؛ ١٥
١٥-القلب النجس؛ ١٥
١٦-القلب المنافق؛ ١٦
١٧-القلب المرتاب؛ ١٦
١٨-القلب المشمئز من توحيد الله؛ ١٦
١٩-القلب المُشرَب بالهوى؛ ١٦
٢٠-القلب المكذب؛ ١٦
٢١-القلب المطبوع؛ ١٧
٢٢-القلب الرائن؛ ١٧
٢٣-القلب المغمور؛ ١٧
٢٤-القلب المتكبر؛ ١٧
٢٥-القلب المُكَنَّنُ؛ ١٨
١- معرفة الله والإيمان به: ١٨
-٢ الإخلاص: ٢٠
-٣ اليقين: ٢١
-٤ الرغبة فيما عند الله: ٢٢
-٥ الخوف من الله: ٢٣
-٦ الرجاء: ٢٣
-٧ الفقر إلى الله: ٢٤
-٨ التوبة: ٢٥

-٩ الورع: ٢٦
-١٠ الحياء: ٢٧
-١١ المراقبة لله: ٢٧
-١٢ الشكر: ٢٨
-١٣ التفكر: ٣٠
-١٤ المحاسبة: ٣١
١٥- المحبة: ٣٢
-١٦ الصبر: ٣٣
-١٧ التدبر: ٣٥
١٨- الهمة: ٣٦
-١٩ الحياة: ٣٧
-٢٠ التذكر: ٣٧
-٢١ الزهد: ٣٨
-٢٢ الخشوع: ٣٩
-٢٣ التوكل: ٤١
-٢٤ الصدق: ٤٢
-٢٥ الاستقامة: ٤٣
-٢٦ التبتل: ٤٤
-٢٧ السر: ٤٥

-٢٨ الإخبات:..... ٤٦
-٢٩ المشاهدة:..... ٤٧
-٣٠ الشوق إلى لقاء الله:..... ٤٧
-٣١ الفرار إلى الله: ٤٨
-٣٢ المجاهدة في الله: ٤٩
-٣٣ التقوى: ٥٠
-٣٤ الأنس بالله: ٥٤
-٣٥ الألفة:..... ٥٤
٣٦- التعظيم: ٥٥
-٣٧ الثقة بالله تعالى:..... ٥٦
-٣٨ التفويض:..... ٥٧
-٣٩ التسليم: ٥٧
-٤٠ اليقظة: ٥٨
-٤١ الإنابة: ٥٨
-٤٢ التمكن: ٥٩
-٤٣ الغَيرة:..... ٦٠
-٤٤ السكينة:..... ٦٠
-٤٥ الطُّمَأْنِينَةُ: ٦١
-٤٦ انشراح الصدر:..... ٦٢

-٤٧ الرضا: ٦٣

-٤٨ الإشفاق:..... ٦٤

-٤٩ الغربة: ٦٥

-٥٠ التضرع: ٦٦

-٥١ السباق إلى الله: ٦٧

من إصدارات المؤلف

ديزاين
05 615908
776655101